

القديس رافائيل هواويني في الرد على بابا روما

ماتيو نعمة

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

أصدر البابا لاون الثالث عشر، في عام ١٨٩٤، رسالة بابوية حول "الحفاظ على الطقوس الشرقية"، أي الاتحادين، وهم المجموعات التي تستخدم الطقوس الليتورجية الأرثوذكسية القديمة ولكنها تخضع نفسها لبابا روما. في عام ١٨٩٨، نشر القديس رافائيل هواويني، الذي كان آنذاك أرشمنديتاً في نيويورك، رداً في مجلة دورية تسمى "الإيمان والعقل"، وأعيد طبعه لاحقاً باللغتين الروسية والإنجليزية في فيستنيك، المجلة نصف الشهرية للأبرشية الروسية في أمريكا. في المقال، يقتبس القديس رافائيل أولاً على نطاق واسع من رسالة البابا، ثم ينتقل إلى انتقاد الكتلعة بشدة. لا يظهر القديس رافائيل في الحقيقة دبلوماسياً أو مجاملاً بل يبدو أنه يعتبر هذا المقال دفاعاً عن الأرثوذكسية المهددة.

بداية نورد مقتطفات من الرسالة البابوية كما نقلها القديس روفائيل:

رسالة البابا لاون الثالث عشر حول الحفاظ على الطقوس الشرقية

[...] إلى جانب كل هذه التدابير والمراسيم، كما ذكرنا سابقاً، بغرض تدريب الشباب الأصليين ليصبحوا خداماً مستحقين للكنيسة وفقاً لطقوس أجدادهم، نحن حريصون على إنشاء مدارس ومعاهد، كنسية وعلمانية على حد سواء، في المدن الشرقية التي قد تكون أكثر ملاءمة لهذا الغرض. ولتحقيق هذا الهدف، الذي يجب أن يكون ذا فائدة عظيمة للإيمان الكاثوليكي، قررنا تخصيص مبالغ كبيرة من المال، نأمل أن يتم المساهمة بها من خلال التبرعات الكاثوليكية. فمن المعروف أن خدمات الكهنة المحليين، الأكثر قبولاً والأكثر ملاءمة، يمكن أن تؤدي إلى نتائج أفضل من تلك التي يقدمها الغرباء، كما أظهرنا بإسهاب في رسالتنا العامة، الصادرة العام الماضي، حول مؤسسة المدارس الكنسية في شرق الهند.

ليس هناك شك في أن تعليم كهنة محليين من الشباب بهذه الطريقة، سيزيد من احترام المسيحيين الشرقيين للدراسات اللاهوتية والكتابية؛ سوف تزدهر دراسة اللغات القديمة على قدم المساواة مع دراسة اللغات الحديثة؛ كما أن ثروة العقيدة والأدب التي يزرعها آباؤهم وكتّابهم، سوف تنتشر على نطاق أوسع، لخير الجميع. كل هذا سوف يؤدي إلى النتيجة المرغوبة وهي أنّ الكهنة الكاثوليك، كونهم البارزين في المعرفة ومثالاً ساطعاً في السلوك، سوف يجذبون بسهولة أكبر إخوانهم المنشقين إلى حوضن أهمهم (الكنيسة الكاثوليكية). وإذا كرس الكهنة قلوبهم وجهودهم النشطة لتحقيق هذه الغاية، وعملوا معاً في المحبة الأخوية، فبالأكيد، بمعونة الله ونعمته، سيأتي ذلك اليوم الميمون، عندما يصل الجميع إلى "وَحَدَانِيَّةِ الْإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللَّهِ"، وهكذا يكون أن "كُلَّ الْجَسَدِ مُرَكَّباً مَعاً، وَمُقْتَرَباً بِمُؤَارَرَةِ كُلِّ مَفْصِلٍ، حَسَبَ عَمَلٍ، عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ، يُحْصَلُ نُمُوَّ الْجَسَدِ لِئُبْنَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ." (أفسس ٤: ١٣-١٦).

وفي الحقيقة، تلك الكنيسة فقط هي القادرة أن تفتخر باسم كنيسة المسيح الحقيقية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بجسد واحد وروح واحد (أفسس ٤: ٤).

ونحن لا نشك في أن إخواننا الأجلاء، البطارقة ورؤساء الأساقفة والأساقفة من أي طقس كاثوليكي شرقي، من منطلق المحبة البنوية التي يحملونها للكرسي الرسولي ولشخصنا، كما من باب الاهتمام لكنائسهم، سوف يقبلون بكل احترام وطاعة كل الأشياء التي قضينا بها، بشكل عام ومنفرد، وسوف يحرصون على أن يلتزم بها كل المعنيين بالأمر.

إن وفرة الثمار التي نتطلع إليها من هذه الرسالة، بل ونتوقعها بثقة، تعتمد بشكل رئيسي على غير أولئك الذين يمثلون شخصنا في الشرق المسيحي. لذلك نوصي المندوبين الرسوليين بإلحاح شديد بأن يحرصوا على إيلاء الاحترام المناسب للطقوس المنقولة إلى تلك الجماعات من أسلافها؛ ولتقديم الاحترام الواجب لسلطة البطارقة وحث الآخرين على أن يحذوا حذوهم؛ وأن يتذكروا في تعاملهم الرسمي معهم وصية الرسول: "مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة" (رومية ١٢: ١٠)؛ لإظهار الاعتبار وحسن النية تجاه الأساقفة وصغار الإكليروس والشعب، متحرّكين بنفس الروح التي ملأت الرسول يوحنا عندما أرسل سفر الرؤيا إلى "الكنائس السبع التي في آسيا"، مع التحية: "نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلَامٌ مِنَ الْكَائِنِ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي" (رؤيا ١: ٤)؛ ليثبتوا في كل مناسبة أنهم مبعوثون ومصالحون جديرون في قضية الوحدة المقدسة بين الكنائس الشرقية وكنيسة روما، التي هي مركز تلك الوحدة والمحبة.

فليستلهم جميع الكهنة اللاتينيين، كل الذين يعملون في تلك الأجزاء من أجل الخلاص الأبدي للنفوس، بنفس هذه المشاعر، ويتصرفوا بالطريقة المشار إليها، بما يتوافق مع نصائحنا وأوامرنا: ولا يكونن هناك شك في أن الله سوف يبارك جهودهم بنجاح كبير إذ هم يعملون في طاعة صارمة للحبر الروماني. لذلك، فإن إرادتنا وأمرنا هو أن كل ما قضينا به وأعلنناه وأمرناه في رسالتنا هذه، يجب أن يُراعى بحرمة من قبل جميع من يعينهم الأمر. ولا يجوز التشكيك فيه أو التنازع عليه أو انتهاكه لأي سبب كان، ولا حتى بسبب أي امتياز، أو تحت أي لون أو ذريعة أخرى. بل يجب أن تصبح هذه المراسيم سارية المفعول بشكل كامل ومتكامل، دون عوائق حتى من الأحكام الرسولية، حتى لو كانت صادرة عن المجالس العامة أو المحلية، أو أي قوانين أخرى، حتى لو كانت مدعومة بالتثبيت الرسولي، أو أي عادات أو أنظمة - والتي نلغيها جميعاً ونرغب في أن تكون وتبقى ملغاةً، بشكل خاص وصریح، كما هي مذكورة فردياً ولفظياً في هذه الرسالة، بغض النظر عمّن قد يتصرف بما يتعارض معها.

كما نرغب أيضاً في أن تُعطى جميع نسخ هذه الرسالة، حتى المطبوعة منها، إذا كانت موقّعة من كاتب العدل لدينا، وإذا كانت محتومة بختم شخص يتمتع بسلطة كنسية مناسبة، نفس المصادقية التي يُفترض منحها لهذه الرسالة الأصلية.

أعطي في روما، من الفاتيكان، في اليوم الثلاثين من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٩٤ من تجسد ربنا، في حبريتنا السابعة عشرة.

البابا ليون الثالث عشر

هنا رد القديس رافائيل على البابا:

من ليس على دراية بالأساليب الخفية للكوريا الرومانية [١] قد يتخيل، عند قراءة هذه الرسالة، أنها تضمن، بشكل كامل وإلى الأبد، حرمة الطقوس المقدسة والحقوق البطريركية لمختلف الطوائف المسيحية المتحدة مع روما، ضد أي محاولات لليتنتتها أو هجمات من جانب الموقّدين البابويين وأنواع عديدة من الكهنة والرهبان اللاتين. لكن هل هكذا هو الأمر في الواقع؟ نبرز هنا سلسلة طويلة من الحقائق التاريخية التي تثبت هشاشة ومغالطة التصريحات والوعود البابوية، في ما يتعلق بالحفاظ على الأعراف المحلية والطقوس وحتى العقائد الخاصة بالكنائس التي أصبحت "متحدة" بالكنيسة الرومانية.

وللاقتناع بزييف هذه الوعود، يكفي أن نقرأ بانتباه رسالة البابا لاون الثالث عشر، التي يحظر فيها من جهة على مندوبيه ورهبانه التدخل، في المستقبل، في الشؤون الكنسية لدى الطوائف المسيحية الشرقية الخاضعة للكرسي البابوي، ومن ناحية أخرى، يسمح ويأذن لنفس المندوبين والرهبان اللاتينيين بالتحكم بتربية الأطفال والشباب الأصليين...

أي شخص يعرف عن أساليب التعليم المتبعة في المدارس اللاتينية يرى بسهولة أن حظر التدخل في شؤون الكنيسة المحلية على الرهبان والكهنة لا يساوي شيئاً مقارنة بالسلطة الممنوحة لنفس الرهبان

لإدارة المدارس. ومن لا يعلم أن كل الشباب الذين تلقوا تعليمهم في المدارس اللاتينية يخرجون منها لاتينيين أكثر من المولودين لاتين حقيقيين؟ ما معنى هذه الرسالة البابوية إذًا، عندما يضع بين أيدي الكهنة والرهبان اللاتينيين أهم شيء على الإطلاق: تربية جيل الشباب؟

صحيح أن الرسالة تفرض على هؤلاء الكهنة والرهبان اللاتين واجب التأكد من أن الذين يدرسون في مدارسهم يتربون على روح الطقوس والأعراف المقبولة في مجتمعاتهم. ولكن من ضمن أن الكهنة والرهبان اللاتين - وخاصة اليسوعيين - سوف يلتزمون إلى الأبد ودائماً بهذا المرسوم الذي أصدره البابا الميسن ليون الثالث عشر؟ لماذا تتلقى كل جماعة، عند انضمامها الأول إلى الكنيسة الرومانية، تصريحات رسمية ووعود مكتوبة من البابا، مفادها أن جميع طقوسها وعاداتها، وحتى عقائدها، سوف تُترك دون أي تغيير: ومع ذلك، فإن التاريخ النزهي يُظهر أن أيًا من المجتمعات التي "اتحدت" بروما لم تتمكن من الحفاظ على طقوسها واستخداماتها، أو حتى عقائدها، من التأثير اللاتيني.

إن أ.ب. لوبوخين، أستاذ أكاديمية سانت بطرسبورغ اللاهوتية، هو على حق تماماً في قوله، في رده على رسالة البابا العامة، إن التاريخ في هذا الصدد (أي في ما يتعلق بتأكيدات بابا روما الرسمية بشأن الحفاظ على طقوس وعادات الجماعات المتحدة بكنيسة روما)، يقدم دليلاً ملموساً جداً على أن أي أمر مهما كان مهماً لا يرتبط بأي ضمانات.

يكفي أن نتذكر أعمال العنف التي كانت علامة على "الاتحاد" الأكثر تعاسة في غرب روسيا، عندما سعت الليتنة الأكثر انعداماً للضمير، لا بل يمكن القول الصفيقة، إلى تدمير آثار الطقوس اليونانية، وحتى الجنسية الروسية، في المجموعات الاتحادية. تستمر هذه الليتنة حتى يومنا هذا في غرب روسيا. وكما لو أن الأمر هو السخرية من احتجاجات الرسالة، فإن اليسوعيين في غاليسيا يقتحمون بعنف الأديرة الروسية، تلك المعازل التاريخية للوعي الديني والقومي للشعب الغاليكي، ويحولونها إلى مواقد للدعاية اللاتينية البولندية.

نقول إن كل هذا يتم أمام أعيننا - وهو حقاً ضمانة كافية لصدق التأكيدات التي قدمها "وكيل الله القدير على الأرض"...

ولكن، بصرف النظر عن الوعود المتعلقة بالحفاظ على الطقوس والأعراف المحلية، تحمل الرسالة البابوية الوعد بحماية حقوق البطارقة والأساقفة الاتحاديين ضد أي هجمات أو تعديات من جانب المندوبين والمبعوثين اللاتين. ولكن، إذا كان البابا لاون الثالث عشر قد قرر حقاً استعادة وتأكيد حقوق البطارقة والأساقفة الاتحاديين التي داسها ممثلوه في الشرق بالأقدام - هذا إذا كان هو نفسه يعتبر أن هؤلاء البطارقة والأساقفة هم بطارقة وأساقفة حقاً - فعلياً ما معنى تعيين أي أساقفة لاتين وحتى بطارقة للطوائف السورية المتحدة مع كنيسة روما، في حين أن لكل واحدة منها بالفعل بطريركها أو أسقفها الأصلي؟

إذا كان كل الهدف من تعيين هؤلاء البطارقة والأساقفة اللاتين هو رعاية الحاجات الروحية لمختلف الكاثوليك الأجانب المقيمين في سوريا (الألمان والفرنسيين والإيطاليين وغيرهم)، وليس إدارة شؤون كنائس الجماعات الاتحادية وتقييد حقوق وكرامة بطارقتها وأساقفتها الأصليين، وإذا كان الكاثوليك الأجانب لا يرغبون في الخضوع لرجال الدين المتحدين الأصليين في شؤون الكنيسة (على الرغم من أن هذا الرفض يتعارض مع الروح الحقيقية للاتحاد)، فإن لهم الحرية للتمتع بالخدم الروحية التي يقدمها اليسوعيون والفرنسيسكان والدومينيكان والكبوشيون، أو أي من الرهبان اللاتين الذين يبلغ عددهم في سوريا عشرة أضعاف عدد المقيمين الأجانب الكاثوليكين. وإذا كانت قواعد رهبنة تلك الأخويات المتعددة لا تسمح لأعضائها بأداء أي خِدم للناس العاديين، أليس من العادل أن يرسل البابا لهذا الغرض كهنة لاتين وحسب، بدلاً من البطارقة والأساقفة اللاتين - ولو لمجرد احترام كرامة البطارقة والأساقفة المحليين، كما القوانين والأحكام الرسولية الصادرة عن المجمع المسكونية، التي تمنع منعاً باتاً تعيين أسقفين لنفس الأبرشية؟

أين، على سبيل المثال، هو المعنى في تعيين بطيريك لاتيني في القدس، حيث للكاثوليك الأصليين بطيريك خاص بهم؟ بل أكثر من ذلك، ما معنى الاتحاد المزعوم بين مختلف الكنائس الشرقية في سوريا وكنيسة روما، ولكل واحدة منها بطيريكها الخاص، وكل واحد من هؤلاء البطاركة المتحدنين يسمي نفسه بطيريك أنطاكية؟ والسؤال الآن هو من يُعتبر بينهم الخليفة الحقيقي للرسول بطرس في كرسي أنطاكية الرسولي؟ أهو البطريرك الماروني أم الملكي أم السرياني أم الكلداني أم الأرمني أم أخيراً البطريرك اللاتيني؟ وما هو أكثر شذوذاً في موقف هؤلاء البطاركة المتحدنين هو أن البعض منهم، كالبطيريك الملكي، يعتبرون أنفسهم بطاركة ليس فقط على أنطاكية، بل على أورشليم والإسكندرية، في معارضة مباشرة للأحكام الرسولية التي لا تعترف بوجود أسقف واحد يشغل كرسيين، فكم بالحري ثلاثة! والأمر الأكثر غرابة هو أن هذا البطريرك نفسه، المتوّج على ثلاث كراسٍ رسولية، يخضع مع كل كراسيه الثلاثة لكرسي روما!

ويترتب على كل هذا أن الهدف الرئيسي لكل هذه المنشورات والرسائل البابوية ليس اتحاد الكنائس أو الحفاظ على الطقوس والعقائد، بل مجرد إخضاع واستعباد جميع الشعوب المسيحية لبابا روما. وفي أعين الباباوات، لا الطقوس ولا العقائد لها أهمية الاعتراف بعقيدة سيادة البابا. إن أي جماعة تعترف بهذه السيادة، حتى لو كان هرطقة، تُعتبر عضواً في الكنيسة الكاثوليكية. وهذا ما يظهر بشكل كافٍ من خلال المذاهب المتناقضة وحتى الهرطوقية الموجودة بين العديد من الطوائف المسيحية في سوريا. والتي هي، رغم ذلك، "متحدة" مع كنيسة روما. وهكذا، على سبيل المثال، فإن بعضهم (اليعاقبة والأرمن والأقباط) يتمسكون بالعقيدة الخاطئة حول طبيعة يسوع المسيح الواحدة؛ وآخرون يدركون فيه طبيعتين؛ البعض يعترف بمشيئتين في المسيح، والبعض الآخر (الموارنة) بمشيئة واحدة فقط؛ ويتمسك البعض بالعقيدة النسطورية عن المسيح (الكلدانيين)؛ آخرون يتبرؤون منها. يقبل البعض إضافة "ومن الابن (Filioque)" في قانون الإيمان، بينما يرفضها آخرون؛ البعض (الأرمن) يستخدمون الفطير في سر الإفخارستيا، والبعض الآخر يدينه؛ البعض يوافق على زواج الكهنة والبعض الآخر يمنع ذلك؛ ويوجّه البعض كنائسهم إلى الشرق، أو الغرب، أو بشكل عشوائي، إلى الشمال أو الجنوب، الخ. وعلى الرغم من كل هذه التناقضات في الطقوس والعقيدة، تُحسب كل هذه الجماعات أعضاء في كنيسة روما، لأنها تعترف بسيادة البابا عليها! ليس هذا دليلاً واضحاً على أن باباوات روما لا يفكرون في طقوس الكنيسة ولا في العقائد المسيحية الأساسية، مقارنة بعقيدة تسلطهم التي اخترعوها بأنفسهم؟

فليكتب الباباوات وينشروا ما يحلو لهم من المنشورات والرسائل – فلن يتمكنوا أبداً بهذه الوسائل من إخضاع الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية لسلطتهم. لقد كانت الكنيسة الأرثوذكسية، وستظل إلى الأبد، الكنيسة الاعة المقدسة الرسولية الواحدة، التي لن تقوى عليها لا مكائد البابا وحسب، بل ولا حتى أبواب الجحيم نفسها. الأرشمندريت رافائيل

Source: St Raphael Hawaweeny vs the Pope of Rome. Posted on January 23, 2024 by Matthew Namee.
<https://orthodoxhistory.org/2024/01/23/st-raphael-hawaweeny-vs-the-pope-of-rome/>

تعليق المترجم

١. النص الأصلي، على مدونة Orthodox History مُعدّ كعرض تاريخي لرسالة البابا لاون الثالث عشر وردّ القديس رافائيل عليها. ولما كانت صفحات الفاتيكان العربية تقدم ترجمة عربية لغالبية الرسائل البابوية التي كما تذكر الرسالة أعلاه تلغي كل ما يسبقها "حتى لو كانت صادرة عن المجامع العامة أو المحلية"، حاولنا إيجاد ترجمة كاثوليكية رسمية فلم نجد. لهذا قمنا بترجمة النصوص التي عرضها القديس رافائيل من الرسالة. أما الأجزاء الواردة في المقال من رد القديس رافائيل فلم نجدها في أعماله

الكاملة ولا بدّ أنها في كتاب "تسريح النظر في منشور البابا لاون الثالث عشر" للقديس رافائيل، والذي لم يتوفر في أي من المكتبات العامة.

٢. كان الهدف من مباشرة الترجمة مزدوجاً. فمن جهة نريد تعريف المؤمنين بفكر قديس أنطاكية الجديد، ومن جهة أخرى نريد هذا النص رداً على مقالة المطران الاتحادي كيرلس سليم بسترس في جريدة النهار، السبت ٢٠ كانون الثاني ٢٠٢٤، بعنوان "بطيركية أنطاكية رائدة الوحدة المسيحية". ولكن بعد أن علّق صاحب السيادة باسيلوس، ميتروبوليت عكار، والأرشمندريت يعقوب خليل، عميد معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي، على هذه المقالة، والرجلان مرجعيتان كنسيتان بحكم موقعهما وعلمهما، وردّاهما يعكسان الرصانة الكنسية والمعرفة العلمية، وجدنا أن هدفنا الثاني قد تحقق بشكل يفوق كثيراً ما كنا لنقدمه، شكرنا الرب على افتقاده لنا بسماع أصوات كنا بدأنا نخشى أن أنطاكية خلت منها.

[١] كوريا الرومانية هي الجهاز الإداري الذي يساعد البابا في إدارة الفاتيكان بشكل خاص والكثلكة بشكل عام. تطور كوريا مع الوقت وصارت تضم المشرفين على مؤسسات الفاتيكان كالبنك ومختلف الوزارات واللجان. في وقت ما كانت حكراً على الإكليركيين ومؤخراً ضُم إليها العديد من العلمانيين. تاريخياً، كوريا مسؤولة عن ما يُنسب إلى الفاتيكان من ممارسات سياسية وغيرها. [المترجم]